

التنمية البشرية بين التحفيز والعلم الزائف ❗ كيف تحولت وعود النجاح والشفاء إلى صناعة عالمية بمليارات الدولارات؟



الأحد 19 يوليو 2026 12:30 م

في وقت تتزايد فيه معدلات القلق والاكتئاب والضغط النفسية، وتراجع ثقة كثير من الناس في قدرة المؤسسات الطبية والسياسية والاقتصادية على تقديم حلول سريعة وفعالة، أصبحت صناعة التنمية البشرية واحدة من أكثر الصناعات انتشارًا وربحًا حول العالم. فبين الوعود بالنجاح السريع، والشفاء بالطاقة، وجذب المال والحب، يقف ملايين الأشخاص أمام خطابات تبدو للوهلة الأولى ذات طابع علمي، بينما يؤكد باحثون أن جانبًا كبيرًا منها يندرج ضمن ما يُعرف بـ"العلوم الزائفة" التي تفتقر إلى الأدلة التجريبية.

ولم تعد التنمية البشرية مجرد دورات لتحسين المهارات أو رفع الدافعية، بل توسعت لتشمل تقنيات مثل قانون الجذب، وعلوم الطاقة، والبرمجة اللغوية العصبية، والعلاج الكمي، والتأملات العلاجية، وهي ممارسات أثارت نقاشًا واسعًا بين العلماء والمتخصصين في علم النفس والفلسفة، حول مدى مشروعيتها وحدودها العلمية.

من كتب التحفيز إلى صناعة عالمية

يرى باحثون أن بدايات التنمية البشرية بصورتها الحديثة تعود إلى منتصف القرن العشرين، عندما انتشرت كتب تهدف إلى مساعدة الأفراد على مواجهة ضغوط الحياة، وكان من أشهرها كتاب "دع القلق وابدأ الحياة" للكاتب الأمريكي ديل كارنيجي، الذي ركز على تغيير طريقة التفكير والتعامل مع المشكلات اليومية.

في تلك المرحلة، اقتصرَت الفكرة على تقديم نصائح عملية وتحفيزية تساعد الإنسان على تنظيم حياته والتعامل مع القلق بصورة أفضل، دون ادعاءات تتعلق بعلاج الأمراض أو تغيير قوانين الكون.

لكن مع مرور السنوات، تغير المشهد تدريجيًا، وتحولت التنمية البشرية من مجرد وسيلة للتحفيز إلى منظومة متكاملة تقدم نفسها باعتبارها بديلًا قادرًا على تحقيق النجاح والثروة والشفاء النفسي والجسدي.

عندما بدأت الادعاءات العلمية

شهدت العقود الأخيرة ظهور موجة جديدة داخل عالم التنمية البشرية، حيث لم يعد المدرب يكتفي بالحديث عن الإيجابية أو الثقة بالنفس، بل بدأ يطرح "قوانين" و"تقنيات" يدعي أنها تستند إلى العلم.

وأصبح الحديث يدور عن جلسات قادرة على علاج الاكتئاب وتمارين للتخلص من الأمراض المزمنة، وطرق للتواصل مع "طاقة الكون"، إضافة إلى ادعاءات بأن التفكير الإيجابي وحده قادر على تغيير الواقع وجذب الثروة وتحقيق الأمنيات.

ويرى مختصون أن هذه النقلة هي التي نقلت التنمية البشرية من مجال التحفيز إلى ما يصنفه كثير من الباحثين ضمن "العلوم الزائفة"، لأنها تقدم نفسها بعبارات علمية دون أن تستند إلى تجارب قابلة للاختبار أو نتائج يمكن تكرارها والتحقق منها.

ما المقصود بالعلم الزائف؟

يشير مصطلح "العلم الزائف" إلى الممارسات التي تستخدم لغة العلم ومصطلحاته دون الالتزام بالمنهج العلمي المعروف.

فالعلوم الحقيقية تعتمد على التجربة، وإمكانية اختبار الفرضيات، وإعادة التجارب للحصول على النتائج نفسها، إضافة إلى خضوعها للمراجعة والنقد المستمر

أما العلوم الزائفة، فتستند غالبًا إلى شهادات شخصية، وتجارب فردية، ووعود يصعب التحقق منها أو إثباتها عمليًا

ولهذا يصنف عدد من الباحثين موضوعات مثل علوم الطاقة، والبيوجيومتري، وقانون الجذب، والعلاج الكمي، وبعض تطبيقات البرمجة اللغوية العصبية ضمن هذا الإطار، لعدم وجود أدلة علمية قوية تؤكد الادعاءات المنسوبة إليها

جذور أقدم من التنمية البشرية

ورغم الاعتقاد الشائع بأن هذه الأفكار ولدت داخل عالم التنمية البشرية، فإن دراسات تاريخية تشير إلى أن جذورها تمتد إلى حركات فلسفية ودينية ظهرت في أوروبا والولايات المتحدة قبل أكثر من قرنين

وتعتمد هذه الحركات على الاعتقاد بوجود قوى خفية تؤثر في الإنسان والكون، وأن العقل يمتلك قدرة على تغيير الواقع المادي إذا استُخدم بالطريقة الصحيحة

وبمرور الزمن، انتقلت هذه الأفكار من الإطار الديني والفلسفي إلى السوق التجارية، حيث جرى تقديمها في صورة دورات تدريبية وورش عمل وكتب تحمل عناوين جذابة توحي بأنها تستند إلى أحدث الاكتشافات العلمية

قانون الجذب: الفكرة الأشهر

يعد قانون الجذب من أكثر المفاهيم انتشارًا في السنوات الأخيرة، خاصة بعد النجاح الكبير الذي حققه كتاب "السر"، الذي صدر عام 2006 وحقق مبيعات ضخمة حول العالم

وتقوم الفكرة الأساسية للقانون على أن الإنسان يجذب إلى حياته ما يفكر فيه باستمرار، سواء كان مألوفًا أو صحتًا أو نجاحًا أو علاقات عاطفية، وأن التركيز على الهدف كفيل بجعله يتحقق

لكن منتقدي هذه الفكرة يؤكدون أن الدراسات العلمية لم تثبت وجود قانون فيزيائي أو نفسي يعمل بهذه الطريقة، وأن النجاح يرتبط بعوامل معقدة تشمل التخطيط والعمل والظروف الاجتماعية والاقتصادية، وليس بمجرد التفكير الإيجابي

من أين جاءت الفكرة؟

تعود جذور قانون الجذب إلى حركة فلسفية عرفت باسم "الفكر الجديد"، ظهرت في الولايات المتحدة خلال القرن التاسع عشر

واعتمدت هذه الحركة على فكرة أن الأمراض تبدأ من العقل، وأن تغيير المعتقدات الداخلية يمكن أن يؤدي إلى الشفاء الجسدي والنفسي

ومع مرور الوقت، توسعت هذه الفلسفة لتشمل النجاح المالي والعلاقات الإنسانية والحياة المهنية، ثم أعيد تقديمها لاحقًا داخل دورات التنمية البشرية باعتبارها "اكتشافًا علميًا" جديدًا

علوم الطاقة والعلاج الكمي

من أكثر المفاهيم انتشارًا أيضًا ما يعرف بعلوم الطاقة، والتي تقوم على وجود طاقة غير مرئية تحيط بالإنسان ويمكن توجيهها لعلاج الأمراض أو تحسين الحياة

كما ظهرت مصطلحات مثل "العلاج الكمي" و"الشفاء بالطاقة" و"الترددات العلاجية"، وهي تعبيرات يرى متخصصون أنها تستخدم مفاهيم مستعارة من الفيزياء الحديثة دون وجود علاقة علمية حقيقية بينها وبين التطبيقات التي تروج لها

ويؤكد عدد من العلماء أن فيزياء الكم تتعامل مع العالم الذري ودون الذري، ولا تقدم دليلاً على إمكانية علاج الأمراض أو تغيير الواقع عبر التفكير أو التأمل

إستغلال لغة العلم

أحد أبرز أسباب انتشار هذه الممارسات هو اعتمادها على لغة تبدو علمية، فكثير من الدورات تستخدم مصطلحات مثل "العلاج العلمي"، و"التأمل العلمي"، و"برمجة العقل"، و"الطاقة الكونية"، و"الترددات"، و"الذبذبات"، و"الوعي الكمي"، وهي عبارات تمنح المحتوى مظهرًا أكاديميًا، رغم أن كثيرًا منها لا يستند إلى أبحاث معترف بها

ويرى باحثون أن هذه اللغة تمنح الجمهور شعورًا بالثقة، خاصة عندما تقترن بشهادات وتجارب شخصية وقصص نجاح مؤثرة

لماذا ينجذب الناس إليها؟

يفسر علماء النفس انتشار هذه الدورات بعدة عوامل، أبرزها رغبة الإنسان في الحصول على حلول سريعة لمشكلاته، خاصة في ظل الضغوط الاقتصادية والاجتماعية والصحية

كما أن كثيرًا من الأشخاص يشعرون بالإحباط بعد تجارب علاجية طويلة أو إخفاقات متكررة، فيصبحون أكثر استعدادًا لتصديق أي وعود تمنحهم الأمل في تحقيق تغيير جذري خلال فترة قصيرة

ويضاف إلى ذلك التأثير الكبير لوسائل التواصل الاجتماعي، التي ساهمت في انتشار آلاف المدربين والمؤثرين الذين يقدمون هذه الأفكار في مقاطع قصيرة تحقق ملايين المشاهدات

بين الدين والتحفيز

ويتطرق عدد من الباحثين إلى جانب آخر يتعلق بقيام بعض مدربي التنمية البشرية، خصوصًا في العالم العربي، بربط أفكارهم بنصوص دينية لإضفاء مزيد من المصداقية على الدورات التدريبية

ويؤكد متخصصون أن المشكلة لا تكمن في المعتقدات الدينية ذاتها، وإنما في تقديمها باعتبارها حقائق علمية قابلة للقياس والإثبات، وهو ما قد يسبب خلطًا بين الإيمان الشخصي والمنهج العلمي

صناعة تدر مليارات الدولارات

وخلال السنوات الأخيرة، تحولت التنمية البشرية إلى سوق عالمي ضخم يضم آلاف الكتب والدورات التدريبية والمنصات الإلكترونية والمؤتمرات الدولية

وتحقق هذه الصناعة عائدات تقدر بمليارات الدولارات سنويًا، مستفيدة من تزايد الطلب على برامج تطوير الذات وتحقيق النجاح والثراء والشفاء النفسي